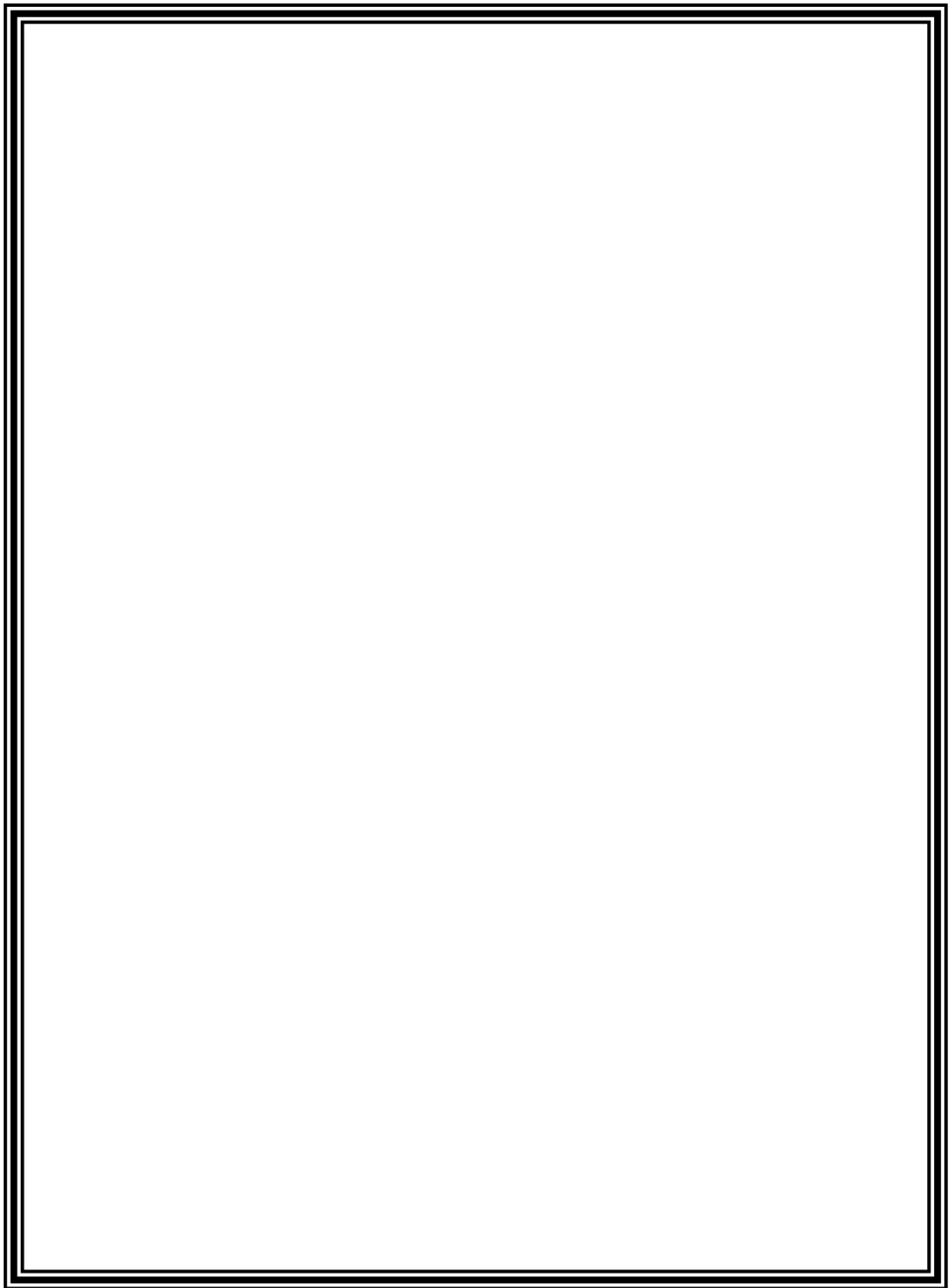


الدراسات الأثرية



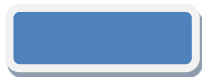
المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

الدكتور

بن زغادي محمد

أستاذ محاضر-درجة أ- قسم علم الآثار

جامعة تلمسان.



المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

The golden rectangle in the prayer house of some Tlemcen mosques

الدكتور

بن زغادي محمد

أستاذ محاضر-درجة أ- قسم علم الآثار

جامعة تلمسان

الملخص:

تطرقنا في هذه الورقة البحثية لجانبٍ خفي من عبقرية المعماري المسلم في تشييده للعناصر الدينية، المتعلقة على وجه الخصوص بالمستطيل الذهبي، أخذنا كمثال لتحليل هذه القاعدة الهندسية من العمارة الإسلامية بعض مساجد مدينة تلمسان العتيقة، المتمثلة في مسجد سيدي إبراهيم المصمودي المشيد من طرف الزيانيين، ومسجد أبي مدين وسيدي الحلوي المشيدان من طرف المرينيين في فترة احتلالهم لمدينة تلمسان. إن هذا الموضوع يميّط اللثام عن عبقرية معمارية أثبتت مدى تطور فن العمارة عند الأسلاف، وهي الآن تفنّد بشكل مباشر ما يدّعيه المستشرقين الغربيين حول كون العمارة الإسلامية بناء عشوائي خالٍ من أي قاعدة هندسية، حيث وجدنا من خلال الحسابات

الرياضية الخاصة بعينات الدراسة (مسجد سيدي إبراهيم المصمودي وسيدي الحلوي وسيدي أبي مدين) أن البناء المسلم جسّد واحداً من مبادئ الفن المعماري الحديث المتمثل في المستطيل الذهبي الذي يحقق الراحة والخصوصية في الفضاء المعماري الخاص بهذه المساجد.

الكلمات المفتاحية: المستطيل الذهبي، العمارة الإسلامية، تلمسان، مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، مسجد سيدي أبي مدين، مسجد سيدي الحلوي.

تمهيد:

تعتبر العمارة الإسلامية واحدة من أبرز البصمات الحضارية التي تركها لنا الأسلاف، وهي واحدة من التعابير المباشرة على عبقريتهم التي امتزجت فيها الإرادة الإنسانية المتطلعة إلى واقع أفضل مع عوامل طبيعية أخرى في

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

تحصيل هذا النوع من الإنجازات، ولم تبق عمّا كانت عليه في أول الأمر بسيطةً، بل تطورت وارتقت في شكلها وتصميمها ومواد بنائها، وربما يعزى ذلك للتغير الحضاري الذي يعدّ من سنن الحياة، وعندما ننقل إلى الفترة الوسطى التي سادت فيها مجموعة من الدول الإسلامية نجد أن هذه البصمات ارتقت إلى الحدّ الذي أصبحت فيه فناً تتجسد فيه ملامح الإبداع في الزخرفة والبناء والتصميم، وقد انقسمت بين ما هو ديني ومدني وعسكري، لأن المسلم تعبد فيها وآوى إليها من ظلمة الليل، واحتفى بها من الذين أرادوا به كيداً.

يُقصد بالعمارة ذات الطابع الديني تلك المباني والمنشآت التي شُيّدت لغرض التعبد والتقرب لله عزّ وجلّ، حظيت بتقدير السلاطين، وقد كان الجامع الذي يعد أبرز أنواعها أول ما يتم تشييده عند القيام بوضع حجر أساس أي تجمع سكاني ملتفّ حول نواة معينة، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اختارت الناقة بأمرٍ من ربّها مكان بناء مسجد قباء في اللحظة الأولى التي حطّت قدما الرسول عليه أشرف الصلاة والسلام تراب المدينة المنورة، حيث ذكر هشام بن عمار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما افتتح البلدان كاتب ولّاه بمصر والبصرة والكوفة أن يتخذوا مسجداً للجماعة كأول خطوة¹، كما اعتبرت مظهراً من مظاهر الأبهة وقوة ونفوذ

الحاكم، لأن المعماري المسلم وضع فيها خالص عبقريته الفنية والمعمارية نزولاً عند أمر السلطان، وهو ما جعلها أهم الميزات العمرانية التي تحلّت بها المدن الإسلامية العتيقة ومن أهم أنواعها المساجد لما لها من دور في إبقاء العبد على صلة بربه طوال اليوم وطيلة بقائه على ظهر هذه البسيطة.

١- ماهية المساجد:

المسجد لغة من الفعل سجد، أي خضع وأسلم وجهه لله الواحد القهار، يقال عين ساجدة أي فاترة ونخلة ساجدة، أي أمالها حملها، والمسجد بكسر الجيم اسم مكان السجود والمسجد بفتحها جبهة الرجل حيث يصيبه ندب السجود والمسجدة بكسر الميم الخمرة المسجود عليها²، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾³ ولما كان السجود أشرف الأفعال التي تؤدّى في الصلاة لقرب العبد في تلك اللحظات من خالقه أُشتق اسم المكان منه، فسُمي المسجد وليس المَرَكع، وهناك لفظ الجامع وهو المسجد الكبير الذي تقام فيه صلاة الجمعة والأعياد، وعليه يمكن أن يكون كل جامع مسجد وليس كل مسجد جامع⁴. اصطلاحاً المسجد أهم وأول منشأة معمارية تُشيد في المدينة الإسلامية اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يقدمه من دور ريادي في تكوين الأفراد داخل المدينة العربية، حيث أعتمد كأسلوب جديد يتوازى فيه الروحي

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

بالمادي ويتكامل فيه المعنوي بالحسي لتحقيق ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ لِّئَلَّهِ أَنْ يُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾⁵، وذكر هشام بن عمار أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما افتتح البلدان كاتب ولأته بمصر والبصرة والكوفة أن يتخذوا في بادئ الأمر مسجداً للجماعة.

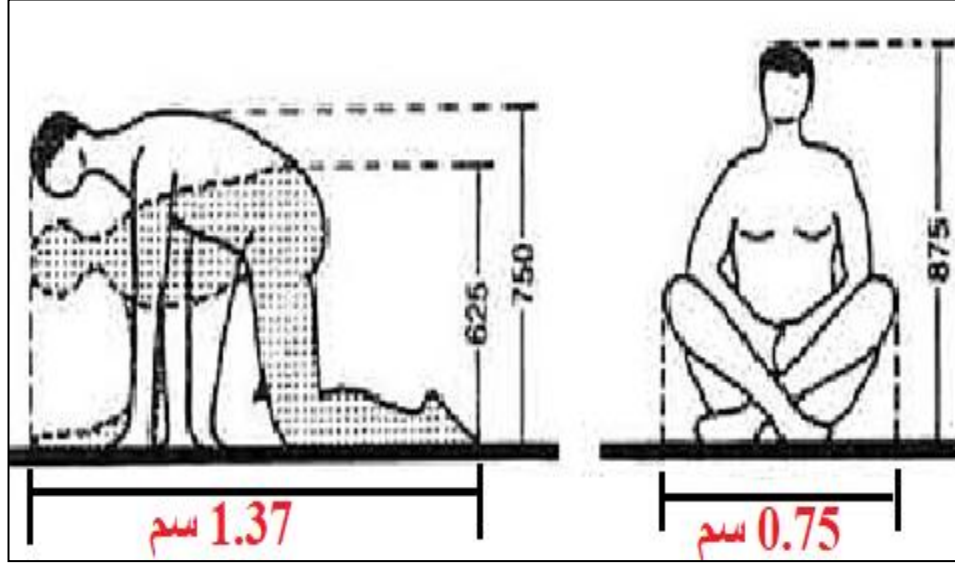
من هذا المنطلق يعدّ المسجد الجامع مركزاً روحياً وثقافياً وعلمياً وكذا النواة التي يحيط بها باقي العناصر المعمارية المكونة للنسيج المعماري بالمدن العتيقة كالأسواق والحمامات والفنادق والدروب والأحياء، لكن مع توالي فترات الخلافة أخذ يفقد بعضاً من أدواره ومكانته كمركز للنسيج العمراني، إذ تراجعت أهميته مقارنة بعمارة قصر السلطان ودواوينه، فقد صار أمر تخطيطه ثانوياً يلي قصر الخلافة في الأهمية، فغالباً ما كانت أبعاد القصر أكبر من أبعاد المسجد، ربما يرجع ذلك لتغير شخصية الحاكم التي أصبحت مشبعة بروح الغطرسية وميولاته المتجددة وابتعاده عن الجانب الديني، وهو ما أحدث عملية إفراغ للمسجد من روحه وجوهره الديني الذي يطبعه، وكمثال عن هذا النوع المعماري جامع القيروان بتونس الجامع

الأموي بدمشق المؤسس من طرف الوليد بن عبد الملك نحو سنة ٨٨هـ/٧٠٧م، والجامع الكبير بمدينة تلمسان الذي وضع أساسه السلطان يوسف بن تاشفين سنة ٤٩٦هـ/١١٠٢م وأبدع في زخرفته نجله علي بن يوسف سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م.⁶

كما أشرنا سابقاً فقد وضع المعماري المسلم في هذا النوع من العمارة كامل خبراته وعبقريته، ما يؤكد أنه اختلط في المساجد الفن بالقوة والمتانة والراحة، حتى يؤدي المسلمون صلواتهم في اطمئنان وأمان من أي عامل يعكر عليهم عمل العبادة، ولكي نتبين ذلك ارتأينا الوقوف على مبدأ راحة المصلي في والمساجد العتيقة، وهل تبني المعماري المسلم ذلك المبدأ في بنائه المساجد والجوامع؟

تحدث الفن المعماري الحديث على لسان عدد من المختصين في مجال العمارة عن قواعد هندسية تحقق مبدأ الراحة في العماثر على اختلاف طابعها، انطلاقاً من الوضعيات المختلفة التي تنجم عن حركة الإنسان وجلسه، واتفقوا على كونه شكل المستطيل هو الأكثر تحقيقاً لراحة الإنسان في العمارة، وقد حدّد المعماري أرنست نوفر Ernest Neufert طوله ب: ١٣٧سم وعرضه ب: ٧٥سم، أنظر الشكل الآتي:

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية



الشكل رقم ٠١: يوضح طول وعرض المستطيل الذهبي انطلاقاً من وضعيات الإنسان، عن:

Ernest Neufert, les éléments des Projets de Construction, démentions et Places nécessaires, L'homme mesure de toute chose, 7^{ème} édition Traduit par C.Bacheré, M.Bartl, U.Benderitter, impression Dunod, (SD), p: 26

٢- نماذج من المساجد وبراعة المعماري المسلم:

عن أهم الأمثلة التي تجسّد وتُظهر براعة المعماري المسلم في التصميم، وتسيير الفضاء الخاص بالعمارة الدينية ما يلي:

أ- مسجد سيدي إبراهيم المصمودي:

يعتبر هذا المسجد واحداً من المنشآت التي شيدها السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، يقع في الناحية الجنوبية الغربية لقصر المشور، تحده شمالاً تجمعات سكنية ذات طابقين وجنوباً

سُمي هذا المستطيل عند البعض من المعماريين الغربيين بالمستطيل الذهبي، وعرفوه على أنه كل مستطيل ينتج عنه مستطيل مشابه له بعد أن يجرد من مربع، يقام داخله وفقاً لأحد أضلاعه الصغيرة بحيث إذا قسّمنا طول المستطيل على عرضه، حصلنا على نسبة تعادل $1.61 = \frac{\sqrt{5}+1}{2}$ وهو ما يسمى بالعدد الذهبي، وأقرّ جملة الدارسين أن النسبة الذهبية قد تكون أيضاً ٠,٦٠ أو ٠,٦٢ أو ٠,٦١، ولكن الأكثر تداولاً هي النسبة الأولى.⁷

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

تجمعات سكنية وشارع، أما شرقاً فيحده شارع ابن خميس يفصله عن دار الثقافة، وغرباً تحده بنايات سكنية قديمة، وشارع سيدي أبي عبد الله، لقد ذكر يحيى بن خلدون أن أبا حمو موسى الثاني بنى المجمع بما فيه المسجد، ودفن بالضريح المحاذي له والده ثم نقل إلى جواره أخويه السلطان أبي سعيد وأبي ثابت من مدفنهما بالعباد.⁸

أخذ المسجد والضريح اسم العالم الفقيه سيدي إبراهيم المصمودي لاشتهار صلاحه عند الناس وذكر الأخوين جيورج ووليام مارسيه أنه دُفن داخل أسوار المجمع ثمانين سنة بعد تأسيسه⁹، فيما يخص نفقات هذا المسجد فقد تم وقف بعض المنشآت لصالحه استناداً إلى نص وقفي منقوش في بلاطتين رخاميتين موجودتين بمتحف تلمسان، تحمل كل واحدة كتابة في خمسة عشرة سطراً ارتفاعها يبلغ نصف متر، أما عرضها فيبلغ ٤٣ سم، واحدة من هاتين البلاطتين مكسورة في اتجاه العرض وهي تتمة لمثيلتها، مما أُلّف اثنا عشرة سطراً منها، إلا أن العبارات المتبقية والمتعلقة بقرار ملكي يقضي وقف بعض الأملاك على المجمع الديني مفهومة، وهذا نصها الأصلي منقول حرفياً كما ورد مكتوباً في البلاطات:¹⁰

أ-البلاطة الأولى: "أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين أبي حمو ابن مولانا الأمير أبي

يعقوب ابن الأمير أبي زيد ابن مولانا الأمير بن زكرياء ابن مولانا أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن ابن زيان وسل الله مفاخرة وخذ آثاره الكريمة ومآثره على هذه الزاوية المباركة المقامة على ضريح والد المذكور برد الله ضريحه فمن ذلك ما بداخله تلمسن المحروسة جميع الطاحونة الملاصقة للزاوية ولثلاثون حانوتاً المعروفة بالصناعة القديمة والكوشة التي بمنشر الجلد وحمام الطبول وفرن مقسم الما وفندق العالي وبخارج البلاد المذكور جميع الرحا السفلى بقلعة بني معلى والنصف شايعة في روس المنية الكاينة بالرميل وزيتون تيفدا وأرض الزيتون المذكور ثم معصرته وجميع المحبس...

ب-البلاطة الثانية: "ملكه وشهره الجميع تغني على التحديد تحبباً تاماً مطلقاً عاماً ووفقاً ثابتاً أبدياً ليصرف ما يستفاد من الحبس المذكور على معلمين العلم وطالبيه وإمام ومؤذن... عام ثلاثة وستين وسبع... مائة... عام... خمسة وستين وسبع مائة..."، كما تحدث شارل بروسار عن النص معتبراً إيّاه وثيقة تثبت نصاً تحببياً خصّسه السلطان أبوحمو موسى الثاني الذي حكم البلاد ما بين سنة ٧٦٠هـ / ١٣٦٠م و ٧٩١هـ / ١٣٩١م لفائدة المجمع الديني ككل.¹¹

بالنسبة للوصف المعماري الداخلي لمسجد سيدي إبراهيم المصمودي محلّ اهتمامنا من الموضوع فقد جاء بيت صلاته مستطيل الشكل

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

السقوف الجملونية مقارنة بما كان به قبل تضرره، فقد كان به سقف خشبي جملوني من الخارج يتقدم المحراب موازي لجدار القبلة طوله ٧م وعرضه ٣,٥٠م، نفس الشيء بالنسبة للبلاطة الوسطى والجانبيتين، إذ جاء سقفهم جملوني بطول قدره ٧م وعرض قدره ٣,١٠م، حسب رشيد بورويبة هذا النوع من التسقيف لم يكن معمولاً به عند المرابطين، ولا عند الموحدين وأنه كان من ميزات العمارة التركية.¹²

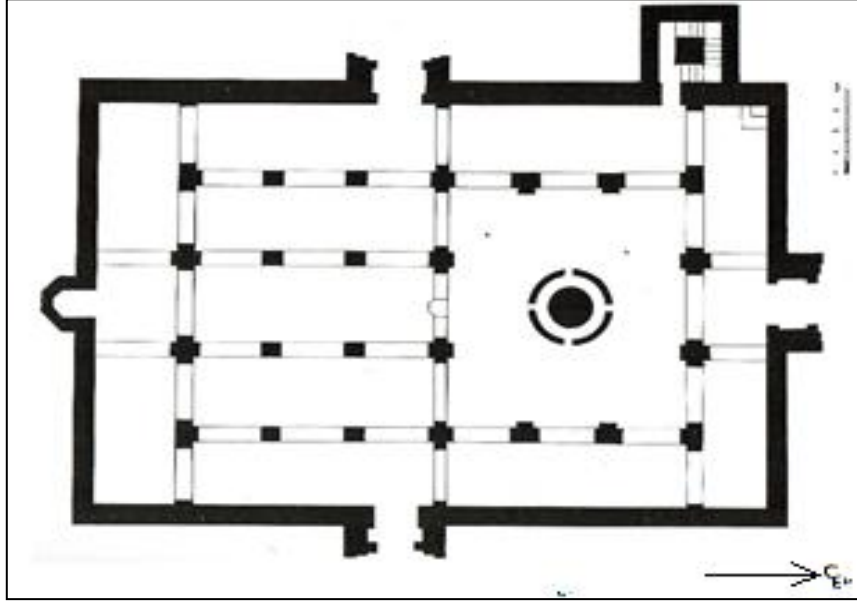
بمساحة قدرها ٢٩٢,٦٠م^٢، حيث يغلب عرضه المقدر بـ ١٩م على عمق المقدر بـ ١٥,٤٠م، بها خمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة. تقوم ببيت الصلاة دعائم على شكل حرف T بيت الصلاة حدّت مسار وعدد كل من البلاطات والأساكيب، تستند فوقها عقود حدوية خالية من أي زخرفة، بالنسبة لسقفه فقد رُمّم مؤخراً بما في ذلك المسجد ككل أعيد تشكيله وفقاً لما كان عليه، لكن أضيف في عدد



الصورة رقم ٠١: تبين منظر لجزء من مسجد سيدي إبراهيم المصمودي. عن :

www.facebook.com/tlemcen.history

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية



المخطط رقم ٠١: يبين مخطط مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، عن: Rachid Bourouiba, Op.cit, p: ٧١

من الجانب المعماري نجد أن البناء المسلم جسد في بيت صلاة مسجد سيدي إبراهيم المصمودي المستطيل الذهبي وتجدر الإشارة أن عدد الصفوف يتحدد وفقاً لطول المستطيل الذهبي المقدّر بـ ١,٣٧م، فإذا كان ناجم قسمة طول بيت الصلاة عليه هو نفس العدد الخاص بالصفوف، فتلك دلالة على أن المعماري المسلم راع في بناء هذا المسجد ما يعتمد عليه الفن المعماري الحديث، ونفس الأمر بالنسبة لعرض المستطيل الذهبي المقدّر بـ ٠,٧٥م، فإذا كان ناجم قسمة عرض بيت الصلاة عليه هو نفس عدد المصلين الموجودين في الصف الواحد من اليمين إلى اليسار، باعتبار أن لكل مصلٍ ذلك

المقدار من المسافة، فتلك دلالة واضحة على وجود المستطيل الذهبي الذي يحقق الراحة في الجلوس والركوع والسجود أثناء تأدية وقد أقرّ الباحث بسنوسي سيدي محمد الغوثي أنه بعد تقسيم عمق بيت صلاة المسجد المقدّر ١٥,٤٠م على ١,٣٧م (طول المستطيل الذهبي) الناتج هو ١١ صفّاً وتتبقى مسافة ٢٤ سم، إذا ما قسّمت على ١١ صفّاً فسيكون لكل منها ٢ سم، وهي نسبة قليلة جداً، ونفس الأمر عند تقسيم عرض بيت الصلاة المقدّر بـ ١٩م على ٠,٧٥م، الحاصل هو ٢٥ مصلياً، وتتبقى مسافة ٣٣ سم، إذا ما وزّعت على عدد المصلين في الصف

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

الواحد ستكون هناك مسافة فاصلة بين كل واحد منهم تقدر ١,٣٢م¹³.

تبين من خلال معاينتنا الميدانية التي قادتنا للمسجد أن بيت صلاته فعلاً يتضمن ١١ صفاً، و٢٥ مصلٍ في الصف الواحد، ما يؤكد أن المعماري المسلم بنى بيت الصلاة وفقاً لقاعدة هندسية تحقق مبدأ الراحة في الصلاة، يُصطلح على تسميته بالمستطيل الذهبي.

ب- مسجد سيدي الحلوي:

لم ينفرد مسجد سيدي إبراهيم المصمودي بالمستطيل الذهبي، فمسجد سيدي الحلوي هو الآخر أحد أهم العماائر الدينية التي برع في تشييدها المعماري المسلم إبان الفترة التي سقطت فيها تلمسان بيد المرينيين أنشئ على يد السلطان المريني أبي عنان فارس ابن أبي الحسن المريني إلى جانب الزاوية التي اندثرت معالمها كلياً، أخذ هذا المسجد اسم الفقيه أبو عبد الله الشودي الملقب بسيدي الحلوي، ذلك ما تؤكدته الكتابة التأسيسية المنقوشة بالخط الأندلسي التي نقلها بروسلا، وقد جاء فيها مايلي: "الحمد لله وحده أمر بتشيد هذا الجامع المبارك، مولانا السلطان أبو عنان فارس ابن مولانا أبي الحسن علي ابن مولانا السلطان أبي عثمان ابن مولانا أبي يوسف يعقوب ابن عبد الحق أيده الله ونصره عام أربع وخمسين

وسبعمائة الموافق لسنة 1353م، بعد أن غادر سيدي الحلوي إشبيلية التي كان بها قاضياً إلى تلمسان عام ١٢٦٦م تبرع بكل ثروته للفقراء ليصبح بائعاً للحلوى، ونتيجة لأدبه وعلمه الذي اتصف به التفت الناس حوله وأكثوا له الحب والتقدير، الأمر الذي حرّك نفسية حسّاده الذين دبروا له مكيدة ودسيسة لدى السلطان حيث اتهموه بالزندقة، وهو ما أدّى إلى تنفيذ حكم الإعدام في حقه بقطع رأسه، ليتبين فيما بعد أنه قُتل ظلماً، حينها أعاد السلطان المريني الاعتبار لهذا الفقيه، وبنى له ضريحاً وأعدم مدبر المكيدة.

يوجد مسجد سيدي الحلوي على مرتفع شديد الانحدار، تلتف حوله عدد من المساكن، يبلغ طوله ٢٧,٥٠م، أما عرضه فيقدر بـ ١٧,٤٠م، يتم الولوج إلى داخله عبر مدخل ضخم به ستة درجات يفضي إلى باب ضخم يعلوه قوس على شكل حدوة الفرس، فيما يخص بيت الصلاة فله بابين جانبيين، يبلغ طوله ١٧,٥م، أما عرضه فيبلغ ١٣,٦٨م، ينقسم إلى خمسة أروقة عمودية على جدار القبلة عرض كل واحد منهما ثلاثة أمتار باستثناء الرواق الأوسط الذي يبلغ ٣,٣٥م، وأربعة بلاطات موازية لجدار القبلة، أعمدة المسجد من الرخام، يبلغ ارتفاعها ٢م، وأقواسه حدوية الشكل، أما محرابه فيبلغ ارتفاعه ١,٩٠م وقطر فتحته ١,٥٦م، تعلوه قبة مزينة

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

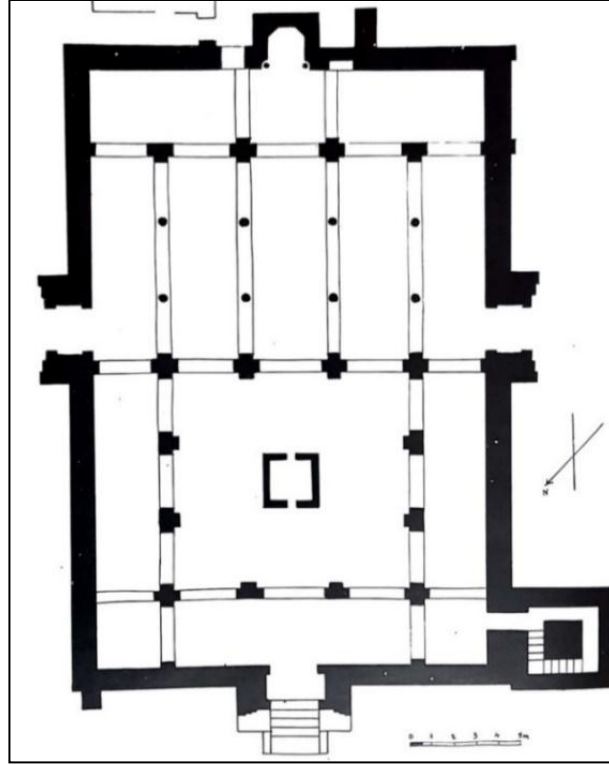
امتداد للرواق الشمالي والجنوبي لقاعة الصلاة، وبالنسبة لمئذنة المسجد توجد بالزاوية الشمالية الغربية بارتفاع يقدر بـ ٢٥م، عدد درجاتها ٨٨ درجة، زخرفتها عبارة عن شبكة من المعينات المستندة على مجموعة من العقود يأتي أسفلها كوة عبارة عن إطار بها قوس مفصّص، تنتهي المئذنة بجوسق به زليج، وتحيط به شُرَافات.

بالمقرنصات، عقده على شكل حدوة الفرس، يستند على عمودين من الرخام، لكل منهما تاج به كتابتين، على التاج الأيمن جاء فيها مايلي: "جامع ضريح الشيخ الولي الرضى الحلوي رحمة الله عليه"، أما التاج الأيسر فجاء فيها مايلي: "أمر ببناء هذا الجامع المبارك عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المؤمنين".¹⁴ أما الصحن فجاء شكله مربع يبلغ طول ضلعه ١٠,٥٠م، يكتنفه يميناً ويساراً مجنّبات



الصورة رقم ٠٢: تبين منظر عام لمسجد سيدي الحلوي. من عمل الباحث.

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية



المخطط رقم ٠٢: يبين مخطط مسجد سيدي الحلوي بتلمسان. ٩٤: Rachid Bourouiba, Op.cit, p:

المصلي للمشي إلى الصلاة، وفيما يخص عدد المصلين، فقد وجدناه مماثلاً لنواتج تقسيم عرض بيت صلاة مسجد سيدي الحلوي المقدّر بـ ١٣,٦٨م على ٠,٧٥م (عرض المستطيل الذهبي)، وتبقى مسافة قدرها ٢٤ سم إذا ما وزّعناها على عدد المصلين فسيكون لكل منهم ١,٣٣م لتحقيق أكبر قدرٍ من راحة العبد أثناء التقرب من ربّه، الأمر الذي يبرز أن ما توصّل إليه الفن المعماري الحديث، قد تفتّن له المعماري المسلم قديماً ولم ينجز مبانيه الدينية

لقد وجدنا أنّ المعماري المسلم في فترة الاحتلال المريني لمدينة تلمسان أتقن فن البناء، حيث وضع في حساباته القواعد الهندسية التي تحقق مبدأ الراحة في تأدية الصلاة، فضلاً عن المتانة واللّمسات المعمارية الفنية التي تحقق تزواج الجمال بالقوّة، ولاحظنا في زيارتنا الميدانية أنّ عدد الصفوف بلغ ١٢ صفّاً، أمّا عدد المصلين في كل صف هو ١٨ مصلياً، وهو ما وجدناه بعد تقسيم طول بيت الصلاة البالغ ١٧,٥٠م على ١,٣٧م (طول المستطيل الذهبي)، حيث كان الناتج ١٢، وتبقّت مسافة ٧٧سم، يستفيد منها

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

خبط عشواء من دون الإمام بقواعد الهندسة والتصميم.

إن توافق تقسيم أبعاد بيت صلاة المسجد على أبعاد المستطيل الذهبي يؤكد من دون شك وجود هذا الأخير في عمارة هذا المسجد، فلو كان الناتج الذي وجدناه ميدانياً مخالفاً لاستنتجنا نقيض ذلك.

ج- مسجد سيدي أبي مدين:

بُنيت هذه التحفة المعمارية من طرف السلطان المريني أبي الحسن، بعد استيلائه على مدينة تلمسان في حدود عام ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م في العباد العلوي¹⁵، ذلك ما تدل عليه كتابة نُقشت فوق باب المسجد بخط أندلسي جاء فيها: "الحمد لله وحده، أمر بتشيد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان عبد الله علي بن مولانا أبي سعيد عثمان بن مولانا السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره، عام تسعة وثلاثين وسبعمائة نفعهم الله بها"، وهناك كتابة أخرى موجودة على زخرفة هندسية آجرية، تتوجها ظلة من القرميد تحمل كتابة جاء فيها ما يلي: "هذا ما أمر به مولانا أبي الحسن عبد الله علي"، هذه الكتابة موجودة كذلك بالتاج الأيمن للمحراب، وفي التاج الأيسر توجد كتابة أخرى جاء فيها: "ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثواب الجسيم كتب الله له به أنفع الحسنات وأرفع الدرجات"، حمل هذا المسجد اسم الولي الصالح سيدي أبي مدين

ذي الأصل الأندلسي من مدينة إشبيلية، يعد من كبار الصوفية السنيين، بعد رجوعه من المشرق الذي شارك فيه مع الحجاج المغاربة في معركة حطين إلى جانب صلاح الدين، هنا تجدر الإشارة أن هذا الأخير خصص لهم حياً بالقدس الشريف صار فيما بعد يسمى باسمهم أي حي المغاربة، استقر أبومدين ببجاية وانصرف للتعليم، ذاع صيته هناك إلى الحد الذي راجت حوله فكرة خاطئة دُبرت من طرف بعض الحاسدين له، ذلك ما أقلق المنصور الموحي الذي بعث برسالة إلى حاكم بجاية يأمره بإرسال سيدي أبي مدين إليه، لما انطلقت به القافلة وصولاً إلى حدود مدينة تلمسان، ولما تراءى له جمال جبل العباد قال الولي الصالح: "ما أجمل ذلك المكان للاستراحة والنوم"، لم يلبث بعدها حتى اشتد عليه المرض ومات ليدفن بالعباد عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٦م.¹⁶

من الناحية المعمارية جاء شكل هذا المسجد مستطيل بطول يبلغ ٣٠م، وعرض يبلغ ١٨م مدخله رائع الصنع علوه يبلغ ٧م له مصعد من إحدى عشرة درجة، يعلو هذا المدخل ظلة مصنوعة من القرميد المحمول فوق أكتاف خشبية، كما يتوج هذا المدخل قبة مزخرفة بمقرنصات، بالنسبة لبيت الصلاة تتضمن خمسة بلاطات عمودية على جدار القبلة، وأربعة أساكيب موازية لجدار القبلة، فيما يخص عرض

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

الأروقة يبلغ عرضها ٣,١٠م باستثناء الرواق الرئيسي الذي يبلغ عرضه ٣,٥٠م.

أما بيت الصلاة فيقدر طوله بـ ١٩م وعرضه بـ ١٥م، يتم الولوج إليه عبر بابين جانبيين، وبالنسبة للمحراب فهو يقع بالزاوية الجنوبية الشرقية تجويفه الداخلي ثماني الأضلاع تيجانه جيدة الصنع ورائعة الزخرفة قبته مخزّمة ومزينة بالخزف ذي اللون الأزرق والأخضر والبني القاتم عقده، حدوي وهي لا تظهر للعيان من الخارج، أما من الدخل فيبدو أنها تعرضت للترميم والإصلاح في الفترة العثمانية، تنتصب المئذنة المبنية من مادة الآجر بالزاوية الشمالية الشرقية شكلها الخارجي رباعي كباقي مآذن مدينة تلمسان يبلغ ارتفاعها ٢٧,٥٠م، نسبها منسجمة ومتناغمة قوام زخارفها حشوات بها إطارات وشبكات من المعينات، عقودها مزينة بزخارف نباتية، يحتوي سلّمها الذي يؤدي إلى الجوسق على ٩٦ درجة تلتف حول النواة الرئيسية، وفيما

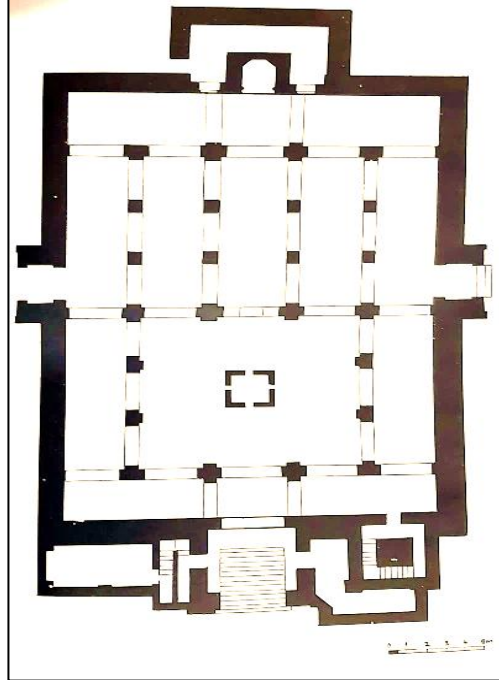
يتعلق بالصحن جاء شكله مستطيل تتوسطه مِيضَاءة تحيط بجهاته الشرقية والغربية أروقة تشكّل امتداداً لبيت الصلاة.¹⁷

نفس الأمر تكرر في هذا المسجد، فقد التزم في تشييده المعماري المسلم بقواعد مضبوطة في الهندسة حيث وجدنا ناتج تقسيم طول بيت صلاته على طول المستطيل الذهبي هو العدد الخاص بالصفوف، أي ١٣ صفّاً، وتتبقى مسافة قدرها ٨٦ سم لمرور المصلين، ونفس الأمر بالنسبة لعدد المصلين الذي وجدناه عقب معاينتنا الميدانية مماثلاً لناتج تقسيم عرض بيت الصلاة على عرض المستطيل الذهبي، وقد تمثّل في ١١ مصلياً في الصف الواحد، الأمر الذي يبرز أن المصلي كان يؤدي واجب العبادة في راحة تامة، لأن مقاسات هذا المستطيل الذي تبناه الفن المعماري الحديث ارتكزت على مقاسات إنسان بالغ.

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية



الصورة رقم ٠٣: تبين منظر لجزء من مسجد سيدي بومدين عن : www.facebook.com/t3rfcom



المخطط رقم ٠٣: يبين مخطط مسجد سيدي أبي مدين . Rachid Bourouiba, Op.cit, p: ٩٣

الخاتمة:

بعد تطرقنا لموضوع المستطيل الذهبي في العمارة الإسلامية الدينية على وجه الخصوص، تبين لنا أن المعماري المسلم كان على دراية كبيرة بالمفاهيم الهندسية التي توصل الفن المعماري الحديث، وذلك يدل دلالة واضحة أن المستوى الفكري كان متقدماً في تلك الفترة الزمنية، وهو الأمر الذي نلمسه أيضاً في تخطيط المدن الإسلامية عامة، حيث تم اختيار مواضعها بعناية كبيرة، وترتيب استعمال فضائها العمراني بطريقة تكفل السير الحسن في المجال الديني والدنياوي. لاحظنا من خلال الورقة البحثية أن كلاً من الزيانيين والمرينيين اهتموا

بتحصيل قاعدة المستطيل الذهبي على أرض الواقع، وهذا الأمر الذي جعلنا نؤكد أن هذا العمل الهندسي كان عاماً وشاملاً عند جميع الدول الإسلامية. لقد أضفنا فضلاً عن الصور المخططات لأن الموضوع ذو طابع هندسي محض، وعليه ستظهر تفاصيل المساجد بوضوح، فضلاً عن ذلك المساجد التي قدمناها هي الأكثر احتفاظاً بتصميمها المعماري الأصيل، وعليه ستوفر لنا صورة حقيقية عن مدى تطابق قاعدة المستطيل الذهبي التي تكلمت عنه كتب الهندسة في العصر الحديث مع بصمات الأسلاف.

المستطيل الذهبي في بيت صلاة بعض المساجد التلمسانية

هوامش البحث:

- 1- سعاد ماهر، مساجد السيرة النبوية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص: ٩٨
- 2- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وزكريا جابر محمد، دار الحديث، القاهرة ٢٠٠٨، ص: ٧٤٧
- 3- سورة الجن، الآية ١٨
- 4- سعاد ماهر، مساجد السيرة النبوية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص: ٩٨
- 5- سورة النور، الآيتان ٣٦-٣٧
- 6-Rachid Bourouiba, **L'art Religieux Musulman en Algérie**, 2^{ème} édition, SNED Algérie, 1983, p: ١٠٦
- ٧- سيدي محمد بسنوسي الغوثي، الزخرفة في مساجد منطقة تلمسان، رسالة ماجستير، معهد الثقافة الشعبية جامعة تلمسان، الجزائر ١٩٩٠، ص: ١٤١
- ٨- يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مج ١، مطبعة بيبور بونطانا الشرقية، الجزائر ١٩٠٣، ص: ١٠٤
- 9- وليام وجورج مارسيس، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، تقديم وترجمة مراد بلعيد، علي محمد بورويبة، فلة عبد مزيام، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠١١، ص: ٤٢٤
- 10- بسنوسي الغوثي سيدي محمد، مرجع سابق، ص: ٢٧٤
- 11-Charle Brosselard, **Les Inscriptions Arabes de Tlemcen**, In (R)Africaine, 4^{ème} année, N°19, Arnolet imprimeur-libraire, Constantine, Algérie, ١٨٦٠, p: 72
- 12-Rachid Bourouiba, L'art...., Op.cit, p: ١٨٥
- 13- بسنوسي الغوثي سيدي محمد، مرجع سابق، ص: ٢٧٥
- 14-Charle Brosselard, Op.cit, p: 322
- 15- محمد ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن** دراسة وتحقيق ماريّا خيسوس ببيغيرا، تقديم محمود بوعلياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٨١، ص: ٤٠٣
- 16-Abbé j. Bargés, **Tlemcen Ancienne Capital du Royaume de Ce Nom**, Imprimerie Oriental du Manus Nicolas, France, 1859, p: 277
- ١٧- عبد العزيز محمود لعرج، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية وفنية**، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية منشورة، ج ٢، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ١٩٩٩، ص: ٥٨٥-٦١٢

Abstract:

We presented in this research paper, a hidden aspect of the genius of the Muslim architect in his construction of religious buildings, Especially related to the golden rectangle, We have taken an example to analyze this engineering base of Islamic architecture Some of the mosques of the ancient city of Tlemcen, For example, Sidi Ibrahim Al-Masmoudi Mosque constructed by the Zianians, and the two mosques of Abu Madian and Sidi Al-Halawi, constructed by the Marinids during their occupation of the city of Tlemcen.

This subject highlights an architectural village that demonstrated the evolution of architecture for ancestors, It now directly refutes what Western Orientalists claim about Islamic architecture being a random building without any engineering base, Where we found through the mathematical calculations of the study samples (Mosque of Sidi Ibrahim Al-Masmoudi, Sidi Al-Halawi and Sidi Abi Madian), The Muslim builder embodied one of the principles of modern architecture represented by the golden rectangle that creates comfort and privacy in the architectural space of this mosques.

key words: Golden rectangle, Islamic architecture, Tlemcen, Sidi Ibrahim El-Masmoudi Mosque, Sidi Abi Madian Mosque, Sidi El-Halawy Mosque.